AIJLLS | OCTOBER 2017 | VOL 1 ISSUE 4
مجلة اللسان الدولية / العدد الرابع (أكتوبر 2017م/ 1438 هـــــ)
الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

أسلوب النّداء في ديوان ابن مقبلٍ

خلدون مرعي إبراهيم حداد
باحث دكتوراه بكلية اللغات –جامعة المدينة العالميّة
khaddad@hct.ac.ae

ملخص البحث

علم اللّغة الحديث علمٌ وصفيّ؛ أي أنّه علم يهتمّ بوصف الظاهرة اللّغويّة وصفًا موضوعيًا يعكس حقائق اللّغة كما هي في الاستخدام الفعليّ، بعيدا عن المنطق الفلسفي والاتجاه المعياريّ؛ فالاتجاه المعياري يتوجّه إلى وضع الأسس والقواعد التي ينبغي أن يلاحظها ويطبقها من أراد استخدام اللّغة استخداما صحيحا، فبدلا من أن تصف الدراسة اللّغويّة ما الذي يقوله ويكتبه أبناء اللّغة فعليا، فإنها تحدّد لهم ما الذي يجب عليه أن يقولوه أو يكتبوه". [1]

وقد اتّجهت دراسات العلماء قديمًا إلى مصادر اللّغة، تستقي منها قواعد تنتظم كلامها وأساليبها، ولقرب الشّعر من نفوس العرب، ولأنّه يحوي معظم طرائقها في التّعبير، كان له النّصيب الأكبر من العناية والاهتمام، وأخذ العلماء يجوبون بوادي نجد والحجاز، يستقرؤون ويسألون ويدوّنون ما يسمعونه من الأعراب، ثمّ أخذ هؤلاء الأعراب يحضرون إلى المدن ليفرغوا ما لديهم من ذخائر نفيسة.

تلا هذه المرحلة مرحلة أخرى لا تقلّ أهميّة عن سابقتها، وهي استقراء الشّواهد، واستنباط الرّابط الّذي يربط بين عناصر اللّغة، واستخراج قاعدة تنتظم تحتها تلك الشواهد، وكان هؤلاء العلماء يعقدون الندوات والمناظرات العلميّة، فوصل العلم جاهزًا في السّفر الكبير (كتاب سيبويه).

والسؤال الّذي يطرحه الباحث: هل تمّ وضع القواعد النحوية واللّغويّة بناء على ما استقرّ عليه الاستخدام اللّغويّ، أم أنّ العلماء طرحوا واستثنوا شواهد شعريّة لم تنتظم فيها القاعدة؛ فعدّت من الشّاذّ والنّادر؟ وهل تطابقت القاعدة النّحويّة مع الشّاهد الشّعريّ من عصور الاحتجاج الّتي ارتضوها؟

وكان اختيار الشّاعر ابن مقبل؛ لما له من مكانة لغويّة كبيرة، ولما له من أشعار تربو على ألف وستمائة بيتٍ، ثمّ ما لقبيلته الكبيرة (قيس) والصغيرة (عامر بن صعصعة) من سمعة لغويّة عظيمة، اعتمدها العلماء في حركة التدوين وتقعيد القواعد. وقيمة النّصّ الأدبيّ، في أنّه السّبيل الأوحد إلى استنباط القواعد واستعمالها، وأنّ أيّ نظامٍ لغويّ لا بد أنْ يقوم على الضّبط والاستقراءِ من خلال النّصوص الفصيحة. وأمّا اختيار أسلوب النّداء؛ فلأنّه أسلوب يشيع على ألسنة المتحدثين بالعربيّة، وفيه أنماط متعددّة، وكلّ هذا أدّى إلى ظهور الخلافات بين العلماء، بناء على مشاربهم ومدارسهم. عمدت في الدّراسة إلى جمع المادّةِ العلميّة وإحصائها وتصنيفها وتحليلها، واستقراءِ آراءِ العلماء وتفصيلها تفصيلاً مُفهِماً.

أسلوب النّداء

من أشهر الأساليب التّعبيرية استخدامًا، إذ لا يستغني عنه متحدّث، ينادى به العاقل والجاهل، والحيّ والميت، والحاضر والغائب، ويستخدم في الحقيقة والمجاز، ويستعمل حيث المنادى غافلٌ أو معرض أو نائم، ولا ينادى من هو ملتفت، فإذا انتبه المنادى والتفت، سُئل أو أُخبر بما يريد "ولا يرد: يا زيد لا تقبل؛ لأنّ (يا) لطلب الإقبال لسماع النّهي، والنّهي عن الإقبال بعد التّوجّه". [1] وإن خوطب الملتفت أو المصغي، فإنّ النّداء يكون لتقوية المعنى وتوكيده. [2]

ومع قلة العناصر المكوّنة لهذا الأسلوب، فإنّ الخلاف النّحويّ كبير جدًا؛ لتوسّع مباحثه الّتي انضوت تحته؛ كالنّداء التّعجبي،

والنّداء الاستغاثي، والنّدبة والتّفجع، والتّرخيم، ولكثرة اتّجاهات العلماء في الدّرس النّحويّ على مرّ العصور.

وجاء النّداء في كتب العلماء السّابقين تحت عنوانين حسب المنهج التأليفيّ، والتّصنيف النّحويّ، فجاء تحت النّداء في المؤلفات الّتي اعتمدت الأبواب النّحويّة، وجاء تحت المنادى في المؤلّفات الّتي اعتمدت التّصنيف حسب العوامل.

تعريف النّداء:

–لغة:

جاء تعريف النّداء في لسان العرب: " والنَّداءُ والنُّداء: الصّوت مثل الدُّعاء والرُّغاء، وقد ناداه ونادى به وناداه مُناداة ونِداءً؛ أَي صاح به. والنَّدى: بُعد الصوت. ورجل نَدِيُّ الصَّوت: بَعِيدُه. والإِنْداء: بُعْدُ مَدى الصوت. ونَدى الصوت: بُعْدُ مَذْهَبه. والنِّداء، ممدود: الدُّعاء بأَرفع الصوت، وقد نادَيْته نِداء، وفلان أَنْدى صوتاً من فلان أَي: أَبْعَدُ مَذْهباً وأَرفع صوتاً، وأَنْدى الرجلُ إذا حسُن صوته". [3] وجاء تعريف النّداء في معجم تاج اللّغة: "النِداءُ: الصوت، وقد يضم مثل الدُعاءُ والرُغاءُ. وناداهُ مُناداةً ونداء، أي صاح به". [4]

–اصطلاحًا:

لم يقدّم معظم العلماء تعريفًا خاصّا بالنّداء، وإنّما جاءت معظم التّعريفات للمنادى على أنّه أساس الباب، ومن تعريف سيبويه يظهر أنّه أراد تعريف النّداء فعرّف المنادى؛ فقال: "اعلم أنّ النّداء، كل اسمٍ مضافٍ فيه فهو نصبٌ على إضمار الفعل المتروك إظهارُه، والمفرد رفعٌ، وهو في موضع اسمٍ منصوب"، [5] فعرّف النّداء بمصطلح المنادى، وكذا فعل المبرّد، [6] وأمّا ابن السّرّاج فعرّفه باقتضاب شديد تعريفًا اصطلاحيًا فقال: "وأصل النّداء تنبيه المدعو ليقبل عليك". [7] ولم يقدّم كلّ من ابن يعيش في شرح المفصّل، وابن مالك تعريفًا محدّدًا في كتبهما الّتي رجع الباحث إليها، على الرّغم من انتهاجهما منهجًا علميًا واضحًا في التّأليف، إذ كان المتوقّع أن يذكرا له تعريفًا خاصًّا. وعرّفه الأزهريّ؛ فقال: "وهو الدّعاء بأحرف مخصوصة". [8] وفصّل الصّبّان في التّعريف فقال: "طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو ملفوظٍ به أو مقدّرٍ، والمراد بالإقبال ما يشمل الإقبال الحقيقيّ والمجازيّ المقصود به الإجابة". [9]

وصولًا إلى العلماء المحدثين؛ فقد قدّم الدّكتور عبد السّلام هارون تعريفًا مقتضبًا؛ فقال: "هو طلب المنادى بأحد حروف النّداء الثمانية". [10] وعرّفه الدّكتور عبّاس حسن؛ فقال: "توجيه الدّعوة إلى المخاطب، وتنبيه للإصغاء، وسماع ما يريده المتكلّم". [11] وعرّفه الدّكتور المخزومي؛ فقال: "هو تنبيه المنادى، وحمله على الالتفات". [12]

عناصر الأسلوب:

يتكوّن الأسلوب عند معظم العلماء من عنصرين؛ أداة النّداء، والمنادى، وزاد الدّكتور محمّد خير الحلوانيّ عنصرًا ثالثًا وهو جواب النّداء، [13] وهذا جدير بالقَبول من حيث إنّ المتكلّم لن ينادي لأجل النّداء، بل لا بدّ من فائدة تعقبه، وهو ما يريد المتكلّم إيصاله إلى المخاطب بعد تنبيهه بالنّداء، وإن حذف من الأسلوب فذلك لأنّه مفهوم من السّياق. وهذا ما يمكن أن يُلمح في تعريف الأزهري السّابق: "ولا يرد: يا زيد لا تقبل؛ لأنّ (يا) لطلب الإقبال لسماع النّهي، والنّهي عن الإقبال بعد التّوجّه". [14]

فأدوات النّداء جميعها حروف، ولا خلاف بين العلماء في حرفيّتها، [15] وجاءت في الكلام العربيّ: (يا – أ – أي – أيا – هيا – وا)، وهناك لغات في بعض هذه الحروف جاءت في كتب العلماء.

أمّا العنصر الثّاني؛ فهو المنادى، وهو العنصر الرئيس في الأسلوب، وعليه يقوم، وإن حذف فلأنّه مفهوم معلوم من الكلام.

النّداء عند ابن مقبلٍ:

على الرّغم من كثرة أدوات النّداء في اللّغة العربيّة، إلّا أنّ ابن مقبل استخدم من هذه الأدوات ثلاثًا فقط: (الياء، والهمزة، وأيا)، وهي الأدوات المشهورة فيهن، وقد أكثر من استخدام

الياء؛ فهي أمُّ الباب؛ فقد استخدمها في ثمانية وعشرين موضعًا، تلتها الهمزة في ثمانية مواضع، وجاءت (أيا) في موضعين فقط.

أداة النّداء (يا):

تعدّ أداة النّداء (الياء) عنصرًا رئيسًا في الأسلوب؛ لأنّها أمّ النّداء، وحرف مختصّ بالنّداء؛ لم ترد لأي غرض آخر في اللّغة، وهي للتّنبيه في الأصل، وما لا خلاف فيه أنّها يجب أن تسبق المنادى، فلا يتقدّم عليها، "ولا يفصل بين الحرف والمنادى"،[16] وتشكّل مع المنادى جملة النّداء، وهذه الجملة كانت مجالًا للخلاف بين العلماء؛ إذ رأى بعضهم أنّ هذه الجملة تحوّلت من جملة إنشائيّة إلى جملة خبريّة، عندما قُدّر الفعل (المحذوف أو ما نابت عنه الياء)، فعند القول: يا زيدُ، فهي جملة إنشاء طلبيّ، وعند تقدير المحذوف أو المناب عنه (أدعو زيدًا أو أنادي زيدًا)، فإنّها تتحوّل إلى جملة خبريّة، وردّ الفريق الآخر بن قالوا: إنّ هذه الجملة –وإن كانت بصيغتها الخبريّة– هي إنشائيّة المعنى؛ أو قصد بها الإنشاء، وهو من الأسباب الموجبة لحذف الفعل المقدر (أدعو أو أنادي)، إضافة إلى كثرة الاستخدام. [17] وردّ ابن هشامٍ في المغني على ابن الطّراوة بأنّ الجملة تحوّلت من الإنشاء إلى الخبر؛ فقال: "وقول ابن الطّراوة النّداء إنشاء وأدعو خبر سهو منه، بل أدعو المقدّر إنشاء؛ كبعت وأقسمت". [18]

ولعلّ من المفيد التّعريج على خلاف العلماء في ناصب المنادى، وخلافهم واضح جليّ؛ فقال سيبويه يرى أنّ النّاصب في الفعل المحذوف لكثرة الاستخدام، ونابت عنه (الياء)، ولذلك لا يجوز أن يأتي النائب والمنوب عنه معًا، قال: "ومما يَنتصب ... على الفعل المتروك إظهارُه قولك: يا عبد الله، والنّداءُ كلُّه. وأَمّا يا زيدُ ... حذفوا الفعلَ لكثرة استعمالهم هذا في الكلام، وصار يَا بدلا من اللّفظ بالفعل، كأَنه قال: يَا، أُريدُ عبدَ الله، فحذَف أُريدُ وصارت يا بدلاً منها، لأنّك إذا قلت: يا فلانُ، علم أنك تريده" [19]. ووافق هذا مذهب كلّ من المبرّد، [20] وابن هشام في المغني. [21] وهناك آراء أخرى في هذه المسألة: [22]

فالرّأي الثّاني في عامل النّصب يرى أنّ المنادى منصوب بالياء ذاتها الّتي تضمنت معنى الفعل أدعو، والرّأي الثّالث: يقول بتأثير العامل المعنويّ وهو القصد، فالمنادى منصوب بعامل غير ظاهر. والرّأي الرّابع: يرى أنّ أدوات النّداء هي أسماء أفعال لا حروف. ومهما يكن من خلاف في العامل، فإنّ المنادى منصوب، أو في محلّ نصب، وهذا الخلاف لا يقدّم في دراسة الأنماط النّدائيّة شيئًا.

ويقول ابن هشام في المغني في الياء: "حرف موضوع لنداء البعيد حقيقةً أو حكمًا، وقد ينادى بها القريب توكيدًا، وقيل: هي مشتركة بين القريب والبعيد، وقيل: بينهما وبين المتوسّط، وهي أكثر أحرف النّداء استعمالًا؛ ولهذا لا يقدّر عند الحذف سواها... ولا يُنادى اسم الله عزّ وجلّ، والاسم المستغاث، وأيّها وأيّتها إلّا بها، ولا المندوب إلّا بها، أو بـــ (وا)". [23]

وظهر الخلاف بين العلماء في أنّ الياء تأتي لمعنى النّداء أو التنبيه، فذكر سيبويه أنّ الياء للتنبيه، عندما تكون في النّداء والأمر، وجاء بشاهد نحويّ تلا الياءَ فعلُ أمر: "وأمّا (يا) فتنبيه؛ ألا تراها في النّداء وفي الأمر كأنّك تنبّه المأمور"، [24] وتبعه ابن جنّي في أنّها للتّنبيه إن لم يأتِ بعدها منادى، وذكر أمثلة على ذلك وقال: "فجاء بيا ولا منادى معها، قيل: (يا) في هذه الأماكن قد جرّدت من معنى النّداء وخلصت تنبيهًا". [25] لكنّ الأمر مخصوص عند ابن مالك الّذي رأى أنّ الياء تأتي في موضعين، فتبقى فيهما للنداء ويحذف المنادى، وذلك إذا وليها الأمر والدّعاء. وتكون للتّنبيه فقط قبل ليت، وربّ، وحبّذا، وقال: "حذف المنادى قبل الأمر والدعاء، فإنّه جاز؛ لكثرة ثبوته، بخلاف ما قبل الكلم المذكورة، فإنّ ثبوت المنادى فيه غير معهود، فادّعاء الحذف فيه مردود، ولكنّ (يا) فيه لمجرد التّنبيه والاستفتاح".[26] ونقل ابن هشامٍ الآراء فيها، فقال: "وإذا ولي (يا) ما ليس بمنادى؛ كالفعل... والحرف ... والجملة الاسمية... فقيل: هي للنّداء والمنادى محذوف، وقيل: هي لمجرد التّنبيه؛ لئلّا يلزم الإجحاف بحذف الجملة كلّها"، [27] ورجّح المرادي قول

بعض العلماء إنّها حرف تنبيه إذا وليها الأمور السّابقة كلّها، نقله في الجنى الدّاني، فقال: "فيا في هذه المواضع حرف تنبيه، لا حرف نداء، هذا مذهب قوم من النّحويين. قال بعضهم: وهو الصّحيح".[28] وضعّف العلماء أن تكون الياء للنّداء؛ لأنّ (الياء) نابت مناب الفعل المحذوف، ومع حذف المنادى تُحذف سائر الجملة، كما أنّ المنادى معتمد المقصد فإذا حذف تناقض المراد.[29]

وقد استخدم ابن مقبل أدوات النّداء (يا، أ) مع نوعين من أنواع المنادى الّتي ذكرها العلماء، وهما: المنادى المضاف، والمنادى العلم، و لم يستخدم بقية أنواع المنادى: المنادى النّكرة المقصودة، والمنادى النّكرة غير المقصودة، والشّبيه بالمضاف.

جاء النّداء عند ابن مقبلٍ في الأنماط الآتية:

النّمط الأوّل: أداة النّداء + المنادى المضاف. جاء في ستة عشر موضعًا.

هذا النّمط يمثّل أصل النّداء؛ لأنّ العلماء انطلقوا من أنّ المنادى مفعول به لفعل محذوف نابت عنه الياء، وهذا مذهب جمهور العلماء، قال سيبويه: "اعلم أنّ النّداء، كلُّ اسمٍ مضافٍ فيه فهو نصبٌ على إضمار الفعل المتروك إظهارُه". [30] وحُذف الفعل لكثرة الاستخدام، واستغناء بظهور معناه، وقصد الإنشاء. واختُلف في الفاعل؛ فمنهم من قال بحذفه مع الفعل، ومنهم من قال باستتاره. اقتصر ابن مقبلٍ في استخدامه على ثلاث أدوات من أدوات النّداء، فجاءت أدوات النّداء (الياء والهمزة وأيا) في هذا النّمط على النّحو التّالي:

1. يا + منادى مضاف إلى غير ياء المتكلّم.
2. يا + منادى مضاف إلى ياء المتكلّم.
3. الهمزة + منادى مضاف.
4. أيا + منادى مضاف.

– الياء

1– يا + منادى مضاف إلى غير ياء المتكلّم. جاء في تسعة مواضع.

فرّق العلماء بين المنادى المضاف إلى ياء المتكلّم والمنادى المضاف إلى غير ياء المتكلّم؛ لوجود ظواهر لغويّة تتبع النّوع الثّاني، وجاءت لها مباحث في معظم كتب النّحاة، تابعة لمبحث الإضافة، و لم تعالج في باب النّداء أو المنادى –كما سيأتي.

وجاءت أبيات المنادى المضاف إلى غير ياء المتكلّم باستخدام أداة النّداء (الياء) على النّحو التّالي:

واسْتَهْزَأَتْ تِرْبُهَا مِنّي. فَقُلْتُ لَهَا
ماذا تعيبانِ مِنّي **يا بْنَتَيْ عَصَرِ؟**
بأيِّ رِشاءٍ **يا بْنَ ذا الرِّجْلِ** ترتقي؟
إذا غرقت عيناك في حومةٍ غمر
يا دار كَبشة تلك لم تتغيَّر
بجُنوبِ ذي خشُبٍ فحَزْمِ عَصَنْصَرِ
يا بِنْتَ آلِ شهابٍ هلْ علمْتِ إذا
أمسى المراغث في أعناقها خضع؟
يا بِنتَ آلِ شِهابٍ هلْ علمْتِ
هاب الحمالة بكر الثَّلَّة الجذع؟
يا أختَ آلِ شهابٍ هلْ علمْتِ إذا
أنسى الحرائرَ حُسنَ اللَّبْسةِ الفَزَعُ؟
يَا دَارَ لَيْلَى خلاءً لاَ أُكَلِّفُهَا
إلاَّ المَرَانَةَ حَتَّى تَعْرِفَ الدِّيَنَا
ألا **يا ديارَ الحَيِّ** بالسَّبُعان
أَملَّ عَليهَا بالبِلَى المَلَوَانِ
يا ابْنةَ الرِّحَّالِ لوْ جارَيْتِني
سَالفَ الدَّهْرِ لجَارَيْتِ الرَّقِمْ

جاء المنادى مضافًا في الأبيات السّابقة، فنادى العاقل المميّز: الرّجل (ابن ذا الرّجل)، والمرأة: ابنتي عصر العقيلي، وبنت آل شهابٍ، وأخت آل شهابٍ، وابنة الرّحّال. ونادى غير العاقل (الدّار والدّيار) (دار كبشة، دار ليلى، ديار الحيّ). وفي كلٍّ منها جاء المنادى منصوبًا (ابنتي) مثنى منصوب، وعلامة

نصبه الياء، وبقيّة المناديات مفردة منصوبة، وعلامة النّصب (الفتحة). ولا خلاف بين ما جاء عند ابن مقبل وما جاء به العلماء من قواعد في هذا.

يا + منادى مضاف إلى غير ياء المتكلّم. جاء في أربعة مواضع. وفرّق العلماء بين الاسمين المناديين المضافين إلى ياء المتكلّم، وهما الصّحيح والمعتلّ. فالاسم الصّحيح عند إضافته إلى ياء المتكلّم في النّداء وفي غيره، فله عدّة حالات، رتّبها العلماء حسب فصاحتها وهي: (31)

- حذف الياء وإبقاء الكسرة دليلًا عليها، وهذه أفصحها: يا غلامِ.
- بقاء الياء ساكنة: يا غلاميْ.
- بقاء الياء مفتوحة: يا غلاميَ.
- قلب الياء ألفًا: يا غلاما.
- حذف الألف وإبقاء الفتحة: يا غلامَ.
- حذف الياء وضمّ الأخير: يا غلامُ.

ومنع بعض العلماء آخر حالة من هذه الوجوه، محتجّين بعدم السّماع عن العرب. وأمّا النّوع الثاني وهو المعتلّ المنقوص، ففي هذه الحالة لا سبيل لحذف أو قلب، بل تبقى هذه الياء على حالها، وتضاف ياء المخاطب، فتدغم الياءان في ياءٍ واحدةٍ مشددّة. قال ابن مالك:" فإذا كان المضاف إلى الياء واحداً من هذه المستثنيات (المثنّى وما لحقه، والجمع وما لحقه)، فتحت الياء، وأدغم فيها ما وليته من أواخرها إلّا الألف، فإنّها لا تدغم، ولا يدغم فيها. وإن كان واواً وجب إبدالها ياءً ليصحّ الإدغام". (32)

وما جاء فيه المنادى المضاف إلى ياء المتكلّم، قال ابن مقبلٍ:

يا جارتَيَّ على ثاجٍ، طريقُكما
سَيْراً حَثيثاً، أَلـــمـّـَا تَعْلَمَا خَبَرِي؟

يا صاحبيَّ انظراني، لا عدمتكما
هلْ تُؤْنِسانِ بذي رَيْمانَ مِنْ نارِ؟

يا صاحبيَّ انظرا، إني معينكما
بمُقْلَةٍ لم يَخُنْها عاثِرٌ ساري

ورد نوعا المضاف إلى ياء المتكلّم؛ (الصّحيح والمعتلّ)، فقد جاء ما فيه الياء (ياء التّثنية) علامة على النّصب مضافة إلى ياء المتكلّم، فبقيت على حالها في ثلاثة مواضع (جارتَيَّ، صاحبيَّ، صاحبيَّ)، وهذه الياء لا خلاف فيها؛ إذ يجب إبقاؤها وإدغامها في ياء المتكلّم، ولا سبيل لحذف إحداهما؛ خوفًا من أن تلتبس بالمنادى المضاف إلى ياء المتكلّم مما ليس مثنّى: يا جارتِي، يا صاحبِي، وهي ليست جارتَيَّ وصاحبَيَّ؛ إذ المنادى مثنّى وليس مفردًا.

وأمّا الحالة الثّانية الّتي وردت فيها الياء محذوفة في قول ابن مقبلٍ:

يا عيْنِ بَكِّي حُنَيْفاً رَأْسَ حَيِّهِمُ
الكَاسِرِينَ القَنَا في عَوْرَةِ الدُّبُرِ

فجاءت كلمة (عين) صحيحة الآخر مفردةً مضافة إلى ياء المتكلّم، ويلاحظ أنّ الشّاعر حذف ياء المتكلّم، وأبقى الكسرة دليلًا عليها، وعلل العلماء لذلك؛ فقال ابن يعيش:" لم يُثْبتوا الياءَ ها هنا كما لم يثبتوا التنوينَ في المفرد، نحو: يا زيدُ، لأنّها بمنزلته إذ كانت بدلًا منه، وذلك أنّ الاسم مضافٌ إلى الياء، والياءُ لا معنَى لها، ولا تقوم بنفسها إلّا أن تكون في الاسم المضاف إليها، كما أنّ التنوين لا يقوم بنفسه يكون في اسم. فلمّا كانت الياءُ كالتّنوين، وبدلاً منه، حذفوها في الموضع الذي يُحذف فيه التنوين تخفيفًا لكثرة الاستعمال والنداء، و لم يُخلّ حذفُها بالمقصود، إذ كان في اللفظ ما يدلّ عليها، وهو الكسرةُ قبلها"، (33) وعلّل السّيوطي لها قائلًا: "لأنّ المنادى كثير التّغيير لكثرة الاستعمال". (34)

ويفرّق الباحث بين نوعين في حذف الياء، الأوّل: ما حُذف بسببٍ صوتيّ، والثّاني: ما حُذف تخفيفًا. ففي: ربِّ اغفر، يا غلامِ انظر، يرى الباحث أنّ هذه الياء حذفت بسببٍ صوتيّ: منعًا لالتقاء السّاكنين؛ فمعظم ما يأتي بعد المنادى هو الطلب بفعل الأمر، ومعظم فعل الأمر (الثّلاثيّ والخماسي والسداسي)

همزته همزة وصل، فتلتقي (ياء المتكلّم وهمزة الوصل) فتحذف الياء. والثّاني منهما ما يحذف تخفيفًا لكثرة الاستخدام، وهو ما قال به العلماء.

وبذلك يكون العلماء قد وصفوا الظّاهرة اللّغويّة وصفًا دقيقًا، وعلّلوا لها، وجاءت القاعدة متوافقة وما جاء عند ابن مقبلٍ على الرّغم من ندرته.

الهمزة:

تحدّث العلماء عن النّداء باستخدام الهمزة، وأجمعوا أنّها لنداء القريب؛ لقصر صوتها، فلا مجال للصّوت أن يندى ويبتعد معها. وهي حرف بلا خلاف، وسمّاها سيبويه (الألف): "وقد يستعملون هذه الّتي للمدّ في موضع الألف، ولا يستعملون الألف في هذه المواضع الّتي يمدّون فيها". (35)

وجاء النّداء بالهمزة عند ابن مقبلٍ في معنى غير النّداء الحقيقيّ؛ النّداء لإظهار التّحسّر والنّدم، فاستخدم اللّهف مضافًا إلى ياء المتكلّم، فتحسّر على القوم الّذين ذهبوا في النّفير، وتحسّر على العزّ العزيز والأعوان والجاه، وظلّ الشّباب الّذي كان فيه فمضى.

الهمزة + منادى مضاف. جاء في موضعين.

قال ابن مقبلٍ:

أَلَهْفي على القومِ الذينَ تحمَّلوا
مع ابنِ كُرَيْزٍ في النفيرِ فأوعَبوا
أَلَهْفي على عزٍّ عزيزٍ وظِهْرَةٍ
وظلِّ شبابٍ كنت فيه فأدبرا

وهنا دخلت الهمزة على منادى مضاف واجب النّصب، ففي (لهفي) منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدّرة على ما قبل ياء المتكلّم، منع ظهورها اشتغال المحلّ بحركة الكسر الطّارئ لمناسبة الياء.

أيا

والأداة الثّالثة عند ابن مقبلٍ: أيا، وهي من الأدوات الّتي تستخدم للبعيد؛ لما فيها من مدّ للصّوت، وقد يستخدم للقريب كما قال ابن السّرّاج: " وقد يستعملون هذه الّتي للمدّ في موضع الألف ... ويجوز أن تستعمل هذه الخمسة إذا كان صاحبك قريبًا مقبلًا عليك توكيدًا"، (36)

أيا + منادى مضاف. جاء في موضع واحدٍ.

جاء استخدام ابن مقبلٍ لهذه الأداة في غير النّداء الحقيقيّ، فخرج إلى التّحسّر والتّندّم، قال ابن مقبلٍ:

أَيَا لَهْفَتِي أَلاَّ تَكُونَ شَهِدْتَهُمْ
فتُسْقَى بكأْسَيْ ذِلَّةٍ وهَوَانِ

وهنا دخلت (أيا) على منادى مضاف واجب النّصب، ففي (لهفتي) منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدّرة على ما قبل ياء المتكلّم، منع ظهورها اشتغال المحلّ بحركة الكسر الطّارئ لمناسبة الياء.

النّمط الثّاني: أداة النداء + المنادى (المفرد العلم). جاء في ثلاثة عشر موضعًا.

يلاحظ من خلال استعراض المنادى في أبيات ابن مقبلٍ، أنّه اقتصر فيها على نداء الأعلام والأشخاص؛ فنادى زوجته: كُبيشة، ونادى ابنته: الحرّة، مستخدمًا الياء في النّداء، كما نادى كبيشة وبني الحارث بن كعب مستخدمًا الهمزة.

وتحدّث العلماء عن الحالة الإعرابية الّتي تكون عليها هذه الأسماء في أثناء ندائها، فهناك إجماع على بنائها على الضّمّ دون تنوين، وتكون في محلّ نصبٍ؛ لأنّها منادى منصوب على المفعوليّة، وشرط لذلك العلماء شرطين: التّعريف والإفراد؛ والتّعريف يكون بالعلميّة أو بغيرها، فالأعلام: كبيشة وحرّة علمان معرفتان، وتعريفهما قبل النّداء، وأمّا مثل: يا رجلُ، فتعريفه عارضٌ بالنّداء بسبب القصد بالإقبال، ويزول عنه بزوال النّداء.

وأمّا الإفراد: فيعنون بها ما كان غير مضافٍ ولا شبيهًا به، فيدخل فيه: المفرد المثنّى والجمع السّالم والمركّب المزجيّ والعدديّ. وفي حال تثنية العلم أو جمعه تذكيرًا أو تأنيثًا، فإنّه

يبنى: على الألف في نداء المثنى؛ لأنه كان يرفع وعلامة رفعه الألف، وعلى الواو في جمع المذكّر السّالم؛ لأنّه كان يرفع وعلامة رفعه الواو، وعلى الضّمّ في جمع المؤنّث السالم؛ لأنّه كان يرفع، وعلامة رفعه الضّمّة.

يا + منادى مفرد علم: جاء في سبعة مواضع.

ومما قال ابن مقبلٍ منادياً زوجته كبيشة:

في كُلِّ ذلكَ **يا كُبَيْشَ** بيُوتُنَا
حلَقُ الحُلولِ ثوابتَ الأطْنابِ
ليتَ الليالي **يا كُبَيْشةُ** لم تكنْ
إلاَّ كليْلتنا بخَبْتِ طحَالِ
فَإذَا وذلكَ **يَا كُبَيْشَةُ** لَمْ يَكُنْ
إلاَّ كحَلْمةِ حالمٍ بخيالِ

في البيت الأوّل استخدم الياء منادياً بها زوجته كبيشة، ورخّم اسمها، على لغة من ينتظر، وسيأتي الحديث عن التّرخيم في مباحث ملحقات النّداء، وظهر اسمها كاملًا دون ترخيم في البيتين الثّاني والثّالث، وظهرت الضّمّة عليه، علامة بناء؛ لأنّه كان يرفع قبل النّداء وعلامة رفعه الضّمّة، في محل نصبٍ على النّداء.

وفي علّة بنائه على ما كان يرفع به، أنّه أشبه الضمير في أنه مخاطب غير مضاف، والأصل في كلّ مخاطب أن يذكر بضمير الخطاب كقولك: أنت يا أنت.

وما دار من نقاشات بين العلماء في العلم المنادى، حول قضيّة التّعريف؛ فمن العلماء من يرى أن المنادى العلم باقٍ على تعريفه، بل ويزداد تعريفًا بالنّداء، ويرى آخرون أنّ المعرفة يفقد تعريفه بالنّداء، ثمّ يتعرّف بالنّداء، والرأي الأوّل عليه كثير من العلماء منهم ابن السّرّاج وابن مالك، والرأي الثّاني للمبرد وتبعه ابن يعيش. [37] ويرجّح الباحث الرأي الأوّل؛ لأنّ العلماء استدلّوا عليه بأن لفظ الجلالة لا يسقط عنه التعريف بندائه ثمّ يعرّف بالنّداء.

ومما جاء عند ابن مقبلٍ من نداء العلم المعرفة بالياء:

يَا حُرَّ، أَمْسَيْتُ شَيْخاً قَدْ وَهَى بَصَرِي
وَالْتَاثَ مَا دُونَ يَوْمِ الوَعْدِ مِنْ عُمُرِي
يَا حُرَّ، مَنْ يَعْتَذِرْ مِنْ أَنْ يُلِمَّ بِهِ
رَيْبُ الزَّمَانِ فَإِنِي غَيْرُ مُعْتَذِرِ
يَا حُرَّ، أَمْسى سَوادُ الرَّأْسِ خَالَطَهُ
شَيْبَ القَذَالِ اخْتِلاَطَ الصفوِ بِالْكَدَرِ
يَا حُرَّ، أَمْسَتْ تَلِيَّاتُ الصِّبَا ذَهَبَتْ
فَلَسْتُ مِنْهَا عَلَى عَيْنٍ ولاَ أَثَرِ

استخدم ابن مقبلٍ الياء لنداء العلم المفرد (حرّة)، فرخّمه، وبنى الاسم على الضّمّ المقدّر المحذوف للتّرخيم، في محلّ نصب على النّداء.

الهمزة + منادى مفرد علم: جاء في ستة مواضع.

استخدم ابن مقبل الهمزة في نداء بني الحارث بن كعب؛ قبيلة غريمه في الهجاء، النّجاشيّ الشّاعر. ويبدو أنّ ابن مقبلٍ أنزلهم منزلة دونيّة باستخدام الهمزة؛ فهي لنداء القريب المصغي إليه الّذي لا يحتاج إلى مدّ الصّوت. يدلّ على ذلك البيت الثّالث مما يلي من شعر ابن مقبلٍ؛ إذ جعل جدّهم قنفذًا بمدرجة يأوي إلى شرّ معقل. ويرجّح الباحث أنّ هناك ارتباطًا بين استخدام التّرخيم للدّلالة على الذّم والتّحقير، ولكنّ الباحث لم يجد من العلماء من قال بذلك.

أَحارِ بْنَ كَعبٍ، ثمَّ لا شيءَ بعدَهُ
ولا قبلَهُ غيرَ الضلالِ المُضَلِّلِ
أَحارِ بنَ كعبٍ، بئسَ ما رامَ جَدُّكمْ
بكُمْ إذْ تعلَّقتُمْ عِنانَ ابنِ مُقبلِ
أحارِ بنَ كعبٍ، إنَّما أنتَ قُنفُذٌ
بمَدْرجَةٍ يَأوِي إلى شَرِّ مَعْقِلِ

ومن ندائه بالهمزة مناداته لزوجه كبيشة، وقد ناداها قبلًا باستخدام الياء. وهنا يُلاحظ استخدامه التّرخيم، فهل يمكن

أن يكون هناك ارتباط بين التّرخيم والنّداء بالهمزة؟ وهذا يحتاج إلى استقراء أكثر في لغة العرب الفصحاء.

قال ابن مقبلٍ:

أَكُبَيْشَ، مَا يُدْرِيكِ أَنْ رُبَّ مَنْهَلٍ
يرمي بعَرْمَضِهِ على الأجْوالِ
أَكُبَيْشَ، مَا يُدْرِيكِ أَنْ رُبَّ خَلَّةٍ
لَيْسَتْ بِشَوْاشاةٍ ولاَ شِمْلالِ

وممن استخدام الشّاعر الهمزة في ندائهم: الأخطل التّغلبيّ، الشّاعر الّذي كان يهاجي ابن مقبلٍ. فهل كان الأخطل قريبًا منه مكانًا؟ أم أنّ ابن مقبلٍ وضعه في ذلك المكان لأمر معنويّ؟

قال ابن مقبلٍ:

أَأَخطلُ لِمْ ذكرْتَ نساءَ قَيسٍ؟
فما رُوِّعْنَ منكَ ولا سُبِينا

واستخدم الهمزة لنداء العلم المفرد، فبناه على الضّمّ، فجاء العلم (أخطل) دون (ال) العهديّة، إذ لا يجوز في النّداء بقاء (ال) في المنادي العلم، كما نادى قبل ذلك بني الحارث بن كعب، مرخمًا وحاذفًا (ال) منه. فهل يمكن أن يُستدلّ –أيضًا– على ارتباط بين التّرخيم وحذف (ال) والتّحقير؟ وهذا الافتراض يميل إليه الباحث، لكنّه يحتاج إلى استقراء أكثر، و لم يذكره العلماء في أثناء حديثهم عن معاني التّرخيم، وقد يقاس هذا على أحد المعاني المستفادة من التّصغير في مباحث الصّرف العربيّ.

والّذي يظهر للباحث –بعد استقراء أنماط النّداء في ديوان ابن مقبلٍ– أنّ العلماء استطاعوا أن يحيطوا بالنّداء وأحكامه، فلم يتركوا في المنادى المضاف، والمنادى العلم أي إشارة إلّا وقد فصّلوا فيها وضربوا لها الأمثلة.

العلم الموصوف بابن: جاء في ثلاثة مواضع.

يقول العلماء: إذا وصف العلم بابن أو ابنة، كان له حالان:

– بناء العلم على الضّمّ، ونصب ابن أو ابنة؛ فيقال: يا خالدُ بنَ الوليد. يا جميلةُ بنتَ سعدٍ.

– فتح المنادى إتباعًا لفتحة ما بعده؛ " وحَقها الضمُّ، وهو غريبٌ؛ لأنّ حقّ الصّفة أن تتبع الموصوفَ في الإعراب، وها هنا قد تبع الموصوفُ الصفةَ. والعلّة في ذلك أنّك جعلتَهما لكثرة الاستعمال كالاسم الواحد". [38] نحو: يا خالدَ بنَ الوليد، ويا جميلةَ بنتَ سعدٍ. والوجه الأول أقوى وأولى. [39]

وجاء العلم الموصوف بابن عند ابن مقبلٍ في ثلاثة أبياتٍ متتاليةٍ، يهجو فيها قبيلة الحارث بن كعب:

أَحارِ بْنَ كَعبٍ، ثمَّ لا شيءَ بعدَهُ
ولا قبلَهُ غيرَ الضلالِ المُضَلِّلِ

أَحارِ بنَ كعبٍ، بئسَ ما رامَ جَدُّكمْ
بكُمْ إذْ تعلَّقتُمْ عِنانَ ابنِ مُقبلِ
أحارِ بنَ كعبٍ، إنّما أنتَ قُنفُذٌ
بمَدْرجَةٍ يَأوِي إلى شَرِّ مَعْقِلِ

ولا تظهر علامة البناء على الاسم الأول: الحارث؛ لأنّه مرخّم، وجاءت الصّفة (ابن) منصوبةً. وهذا ما ذكره العلماء من استقراء اللّغة، وظهر التّوافق بين ما قال به العلماء وما جاء عند ابن مقبلٍ.

أداة النداء المحذوفة: جاء في عشرة مواضع.

يمكن أن تحذف أداة النّداء في مواضع، ولكنّه يمنع حذفها في مواضع أخرى حددّها العلماء في مؤلّفاتهم، وخصّوا الياء بالحذف دون غيرها من الأدوات؛ لأنّها أمّ الباب والمستولية على أنواعه، فتدخل على القريب والبعيد، حقيقة ومجازًا، وتدخل على أنواع المنادى الخمسة: المفرد والمضاف والشبيه به، والنكرتين المقصودة وغير المقصودة، والمستغاث والمتعجب منه، والمندوب أحيانًا. [40]

وأمّا المواضع الّتي منع العلماء الحذف فيها فهي: [41]

– المنادى لفظ الجلالة (الله) غير المختوم بالميم المشددّة.

- المنادى البعيد.
- المنادى المندوب أو المستغاث أو المتعجب منه.
- المنادى النّكرة غير المقصودة.

وجاء حذف أداة النّداء مع المنادى: المفرد العلم: (كبيشة، ألأخطل) والمضاف: (خَلِيلَيَّ، خَلِيليَ، بني عَامِرٍ، ولَهْفي). وكلّها بأداة النداء (يا).

قال ابن مقبلٍ:

تقولُ: تَرَبَّحَ يغمُرِ المالُ أهلَهُ
كُبَيْشَةُ، والتقوى إلى الله أَرَيَحُ
فأخطلُ إنْ تسمع خواتي توقّني
كما يتّقي فرخُ الحُبارى من الصّقرِ

تأمَّلْ **خَلِيلي** هلْ ترى ضوءَ بارقٍ
يَمَانٍ، مَرَتْهُ رِيحُ نَجْدٍ فَفَتَّرَا
تأمَّلْ **خليلي** هلْ ترى من ظعائنٍ
تَحَمَّلْنَ بِالْعَلْيَاءِ فَوْقَ إِطَانِ
خَلِيلَيَّ لاَ تَسْتَعْجِلاَ، وانْظُرا غَداً
عسى أن يكونَ الــمُكْثُ في الأمرِ أرْشَدا
خَلِيليَّ عُوجا حَيِّيَا أُمَّ خَشْرَمٍ
ولاَ تَعْجَلاَنِي أَنْ أَقُولَ لَهَا اسْلَمِي
خليلَيَّ إنَّ الرأيَ فَرَّقَهُ الهوى
أَشيرَا بِرأْيٍ منْكُمَا اليومَ ينفعُ
بني عَامِرٍ، مَا تَأْمُرون بِشَاعِرٍ
تَخَيَّرَ بابات الكتاب هجائيا
ولَهْفي على حَيَّيْ حُنَيْفٍ كِلَيْهِما
إذا الغيث أمسى كابي اللون أغبرا
ولهفي لِخلاَّتٍ عُرِضْنَ عليهمُ
كَأَنَّ حُلُومَ الشَّاهِدينَّ غُيَّبُ

والملاحظ أنّ المنع قد تحقّق؛ فقد جاءت حالات المنع مطابقة لما ورد في أشعار ابن مقبلٍ، ولم يظهر مستغاث أو مندوب أو غيرهما مما منع العلماء حذف الأداة منه.

آلمنادى محذوف أم أداة النّداء للتّنبيه؟

فرّق العلماء بين (الياء) أداة للنداء وأداة للتنبيه، وأصل الإشكاليّة في دخول أداة النّداء (الياء) على ما لا يصلح للنّداء؛ كالحرف والفعل والجملة الاسميّة، فذهب فريق من العلماء إلى إخراج الياء للّتنبيه فقط، ولا تكون للنّداء، وهو مذهب سيبويه وابن السّرّاج، [42] وذهب آخرون إلى أنّ هذه الأداة للنّداء، وأنّ المنادى محذوف يلمح من السّياق، وهذا مذهب كثير من العلماء، [43] واختاره الحلواني من المحدثين، [44] وذهب آخرون إلى حالة الوسط؛ فجعل الياء الدّاخلة على الأمر والدّعاء من النّداء، وما دخل على غيرهما فهو للتّنبيه. [45]

قال ابن مقبل:

ألا يا اجتدينا بالثواب، فإننا
نثيب، وإن ساء الغيور المحذّرا

دخلت أداة النّداء على الفعل الطّلبي (اجتد) وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبًا، (والشاعر أشبع حركة الدّال للوزن، وتوالي الحركات). وهنا تخاطب المحبوبة العاشق وتطلب منه أن يطلب الوصال، لأنّها تبادل الوصال بالوصال.

والّذي يظهر للباحث من خلال السّياق الحواريّ بين العاشقين، أنّ المنادى محذوف (عاشقي، عاشقًا)، على الرّغم مما قال به العلماء من منع حذف المنادى؛ وذلك لحذف الفعل الّذي نابت عنه الياء، المقدّر بأدعو أو أنادي، ولكنّ السّياق يحدد المعنى.

وقال ابن مقبلٍ في بيتٍ آخر:

يا هلْ ترى ظُعُناً تُحْدَى مُقَفِّيَةً
تَغْشى مَخارِمَ بينَ الخَبْتِ والخَمَرِ

وفي هذا البيت دخلت ياء النّداء على حرف الاستفهام (هل)، ولا يعقل أن يكون هو المنادى، ولذلك إمّا أن يُقدّر

منادىً محذوفٌ، أو أن تكون الياء لمجرّد التّنبيه. وما يظهر من خلال المعنى السّياقي للبيت، أنّ هناك منادىً محذوفًا، بدليل أنّ الشّاعر –على عادة الشّعراء– يسير أو يتخيل المسير مع صديق أو صديقين له، يحادثه ويسائله ويطلب منه ما أراد، وهذا ظاهرٌ في البيت، فهو يسأل صاحبه: هل ترى مراكب النّساء الظّاعنات في الهوادج، مقفّيات مدبرات. فيمكن تقدير المنادى (صاحبي) أو ما شابه. وهذا أقوى من عدّ الياء للتنبيه.

وقال ابن مقبلٍ:

يا ليتَ لي سَلْوَةً يُشفى الفؤادُ بها
مِنْ بَعْضِ مَا يَعْتَرِي قَلْبِي مِنْ الذِّكَرِ

دخلت الياء على الحرف ليت، وما يظهر في البيت من خلال السّياق العام أنّ الياء هنا ليست للنّداء (على الرّغم من أنّ النّداء في أصله تنبيه)، لكنّ المقصود أنّ الياء قد تكون للتّنبيه فقط. وعليه لا يمكن تقدير منادى محذوف، ويستدلّ على معنى النّداء من خلال السّياق الكلاميّ، فهنا الشّاعر يتمنّى أن تكون له سلوة تشفي فؤاده مما يعانيه، فيمكن أن تكون الياء أدّت معنى التحسّر والنّدم. وما يؤيّد هذا ما قال به العلماء من خروج النّداء عن معناه الحقيقي (الطلب والقصد) إلى معاني مختلفة كالتّحسّر والنّدم.

وما يراه الباحث في هذه المسألة: أنّ الياء تكون للنداء وللتّنبيه، سواء أدخلت على الاسم أم الفعل أم الحرف (غير ليت)، والّذي يحدّد ذلك هو السّياق والمقام، ويقدّر المنادى المحذوف من سياق الكلام. وتكون الياء للتّنبيه فقط؛ عندما تدخل على الحرف ليت.

المطلب الثّاني: الاستغاثة: جاء في موضعين من الدّيوان.

أحد أنماط النّداء الّتي تخرج عن معناه الحقيقيّ (الطلب والقصد) إلى معنى آخر وهو طلب الغوث من المنادى إلى من يستحقّ الغوث. يتكوّن من عناصر أساسيّة: أداة النّداء الخاصّة (الياء) ولا غيرها من الأدوات، ثمّ المستغاث به مقرونًا غالبًا باللّام المفتوحة، ثم المستغاث له مقرونًا باللّام المكسورة؛ وجاء التّباين بين اللّامين للتفريق بين المستغاث والمستغاث له. ويلاحظ أنّ المستغاث (المنادى) ينتقل إلى حالة الإعراب الكاملة؛ فلن يعود مبنيًا كما في النّداء، إلّا إن كان من الأسماء المبنيّة في أصل وضعها؛ كأسماء الإشارة أو الموصولة وغيرها، ويكون مجرورًا لفظًا باللّام، منصوبًا محلًّا على النّداء.

يقول ابن مقبلٍ:

ألا يا لَقَومٍ للدِّيارِ ببَدْوَةٍ
وأنّي مِراحُ الــمَرءِ، والشَّيبُ شامِلُهْ

يستهلّ الشّاعر البيت بالاستفتاح للتّنبيه إلى عظيم ما سيلقيه، ثم أتبعه بالياء، وأتبع الياء بالمستغاث مقرونًا باللّام المفتوحة، الجارّة لــما بعدها، لفظًا منصوبًا محلًّا على النّداء الاستغاثيّ، ثم للدّيار وهي المستغاث له المجرور باللّام المكسورة. وقال أيضًا:

يا مَنْ لــمَولىً أُرَجِّيهِ وأمنعُهُ
حتى تَطَلَّعَ لي مِن حافَةِ النارِ

جاءت أداة النداء (يا) دون غيرها، تلاها المستغاث وقد تجرّد من اللّام المفتوحة جوازًا، وهنا جاء المستغاث من الأسماء المبنيّة، فلا ينتقل إلى الإعراب، ويبقى على بنائه على السّكون في محل نصب، ثم جاء المستغاث له، وهو المولى مجرورًا باللّام المكسورة تفريقًا من المستغاث به.

والملاحظ أنّ ابن مقبلٍ جاء بأسلوب الاستغاثة في موضعين فقط من ديوانه الشّعريّ الّذي يحوي أكثر من ألف وأربعمائة بيت، مما يمكن أن يدلّ على مكانته ومكانة قبيلته القويّة، الّتي لا تحتاج إلى الاستغاثة، بل ويُستغاث بها.

المطلب الثّالث: النّداء التّعجبي. جاء في موضعين من الدّيوان.

قد يظهر للإنسان شيء يثير الدّهشة والاستغراب، فيحتاج إلى التّعبير عنه بعبارة تظهر التّأثّر الحاصل، فيلجأ إلى النّداء التّعجبي، الّذي يقوم على: أداة نداء (الياء) ومعها اللّام

المفتوحة أو المكسورة، ثمّ المنادى للتّعجّب، مجروراً لفظًا منصوبًا محلًا، وقد تسقط هذه اللّام فينصب المنادى المتعجّب منه كما هو حال المنادى المضاف في النّداء، والمنادى المتعجّب منه معربٌ منصوب، إلّا إن كان مبنيًا في الأصل؛ كأسماء الإشارة أو الموصولة أو غيرها من المبنيّات، وفي بعض الحالات قد يستعاض مكان اللّام بألف كما المنادى المستغاث، وقد ينادى العجب ذاته على المجاز، وذلك تعظيماً للمتعجّب منه. فيقال: يا عجبًا للقمر! والمعنى يحدد نوع ذلك الأسلوب.

قال ابن مقبلٍ:

ويَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ أَنَّى أَصَابَهُ

ومِنْ مثلِ ما لاقى ابنُ عفَّانَ يُعجَبُ

جاء النّداء للعجب ذاته، ليبيّن الشّاعر شدّة دهشته مما أصاب عثمان بن عفّان –رضي الله عنه– حين استشهاده، والحقيقة الّتي يذكرها ابن مقبلٍ أنّ العجب كلّ العجب مما لاقاه عثمان على أيدي قاتليه.

جاءت أداة النّداء الياء، وجاء بعدها المنادى (عجبًا) لبيان التّعجّب وشدّته، وحذف ابن مقبل اللّام من المنادى جوازًا، ثم بيّن المتعجّب منه (الدّهر).

فيا لَكَ مِن شَوقٍ بقلبٍ مُتَيَّمٍ

يجن الهوى منها، **ويا لك منظرا**

في صدر البيت قد يكون النّداء للتّعجب، وقد يكون للاستغاثة؛ وما ينطبق على الاستغاثة من أحكام ينطبق على التّعجب، حتّى إنّ بعض العلماء جعلهما في مبحث واحد. (46)

ويلاحظ أنّ ما بعد الياء جاءت اللّام المفتوحة، وأتبعها الضمير المتّصل بها (الكاف) ويقصد به (الصّديق)؛ فكأنّه يقول: يا لصديقي من شدّة الشّوق. وصديقه هو المتعجّب له، فجاءت (شوقٍ) مجرورةً بحرف الجرّ الزّائد، لكنّها منصوبة محلًّا على التّمييز. وأمّا ما جاء في عجز البيت، (يا لك منظرًا)؛ فلا فرق بين الأسلوبين في الصّدر والعجز سوى أنّه زاد في الصّدر (من) الزائدة الجّارّة.

وهذا الأسلوب معروف شائع في لغة العرب، وكثير من الأساليب تخرج من المعنى الّذي جاءت ووضعت من أجله إلى معنىً جديدٍ.

المطلب الرّابع: التّرخيم.

ظاهرة صوتية تلحق بعض الأسماء في أثناء ندائها، وتقوم على حذف آخره تخفيفًا، وبشروط معيّنة، ولأغراض مقصودة.

شروطه:

- أن يكون علمًا زائدًا على ثلاثة أحرف.
- المعرفة؛ لكثرة مناداته.
- ألّا يكون مضافًا ولا شبيهًا به.
- ألّا يكون جملة، (علمًا على شخص).
- ألّا يكون مستغاثًا ولا مندوبًا.

وهناك اختلافات وآراء وأقوال للعلماء، وهناك مرخّمات شذت، وهناك من أجاز ومن تشدّد، من وتوسّع في المرّخم المنادى من حيث عدد الأحرف المحذوفة، وأصليتها وزيادتها.

وما يراه الباحث أنّ التّرخيم قليل، و لم يعد يستخدم في لغة العصر، على الرّغم من الحاجة إليه؛ فلا حاجة للإطالة في دراسته؛ لـــما فيه من وقوع في اللّبس بين ما رُخّم وما لم يرخّم. وما جاء في كتب اللّغة منه يحفظ ولا يستخدم، ولا داعي لإتخام الكتب بالمطوّلات والشّروح.

وجاء المرخّم المنادى في ديوان ابن مقبلٍ في ثلاثة أعلام: كُبَيْشَة ورخّمها على كُبَيْشَ، وحُرّة ورخّمها على حُرَّ، والحارِث ورخّمه على الحارِ.

وذكر العلماء طريقتين (لغتين) في ترخيم الأسماء:

- بقاء ما قبل المحذوف من الحرف على حركته. ويطلق عليها لغة من ينتظر (ينتظر الحرف المحذوف)؛ مثل: كُبَيْشَ = كُبَيْشَة ، حُرَّ = حُرّة ، الحارِ = والحارِث.

– نقل حركة الحرف الأخير المحذوف إلى آخر حرف باق في الكلمة، ويطلق عليها: لغة من لا ينتظر. كُبَيْشُ = كُبَيْشَة ، حُرُّ = حُرّة ، حارُ = والحارث.

و لم يستخدم ابن مقبلٍ غير هذه الأعلام الثلاثة، مرخّمة على الطريق الأوّلى: (لغة من ينتظر).

قال ابن مقبلٍ في ترخيم اسم ابنته (الـــحـــــُـــرّة): ترخيم تحبب.

يَا حُرُّ، أَمْسَيْتُ شَيْخاً قَدْ وَهَى بَصَرِي
وَالْتَاثَ مَا دُونَ يَوْمِ الوَعْدِ مِنْ عُمُرِي
يَا حُرُّ، مَنْ يَعْتَذِرْ مِنْ أَنْ يُلِمَّ بِهِ
رَيْبُ الزَّمَانِ فَإِنِي غَيْرُ مُعْتَذِرِ
يَا حُرُّ، أَمْسى سَوادُ الرَّأْسِ خَالَطَهُ
شَيْبَ القَذَالِ اخْتِلاَطَ الصفوِ بِالْكَدَرِ
يَا حُرُّ، أَمْسَتْ تَلِيَّاتُ الصِّبَا ذَهَبتْ
فَلَسْتُ مِنْهَا عَلَى عَيْنٍ ولاَ أَثَرِ

وقال في ترخيم زوجة من زوجاته (كُبَيْشَة): ترخيم تحبب.

أَكُبَيْشَ، مَا يُدْرِيكِ أَنْ رُبَّ مَنْهَلٍ
يرمي بِعَرْمَضِهِ على الأَجْوالِ
أَكُبَيْشَ، مَا يُدْرِيكِ أَنْ رُبَّ خَلَّةٍ
لَيْسَتْ بِشَوْاشاةٍ ولاَ شِمْلاَلِ

وقال في ترخيم قبيلة غريمه في الهجاء (الحارث بن كعب): ترخيم للشّتم والاستهزاء.

أَحارِ بنَ كَعبٍ، ثُمَّ لا شيءَ بعدَهُ
ولا قبـــلَهُ غـــيرَ الضلالِ الـــمُضَلِّلِ
أَحارِ بنَ كعبٍ، بئسَ ما رامَ جَدُّكمْ
بكُمْ إذْ تعلَّقتُمْ عِنانَ ابنِ مُقبلِ
أحارِ بنَ كعبٍ، إنَّما أنتَ قُنفُذٌ
بِمَدْرجَةٍ يَأوِي إلى شَرِّ مَعْقِلِ

نتائج:

– استخدم ابن مقبلٍ أدوات النّداء (يا، أ، أيا)، و لم يستخدم بقية الأدوات الّتي ذكرها العلماء، وكان الاستخدام الأكبر للياء، وهذا يقول به الاستخدام اللّغويّ.

– استخدم ابن مقبلٍ نوعين من أنواع المنادى الّتي ذكرها العلماء، وهما: المنادى المضاف، والمنادى العلم، و لم يستخدم بقية أنواع المنادى: المنادى النّكرة المقصودة، والمنادى النّكرة غير المقصودة، والشّبيه بالمضاف.

– و لم يرد في أشعاره أيّ منادى معرف بأل، وما ورد معرفًا بأل حذفت منه بعد النّداء، وخصوصًا في المرّخّم.

– تستخدم الياء للنّداء وللتنبيه سواء أدخلت على الاسم أم الفعل أم الحرف (غير ليت)، والّذي يحدد ذلك هو السّياق والمقام، ويقدّر المنادى المحذوف. وتكون للتّنبيه فقط؛ عندما تدخل على الحرف ليت.

– جاءت القواعد النّحويّة الخاصّة بهذا الباب مطابقة لما ورد في أشعار ابن مقبلٍ.

(1) **Assibban**, *Hashimah assibban 'ala sharhi al ashmuni, T1, 3/197.*
(2) Undhur : **Hassan**, *annahwu al wafi, T4, 15/1.*
(3) **Ibnu Mandhur**, *Lisan Al Arab, T3, (Nada), 14/97.*
(4) **Al Jauhari**, *taj al lughah wa sihah al 'arabiyah, T4, (Nada) 6/2502*
(5) **Sibaweih,** *Al Kitab, T3, 2/182.*
(6) Undhur : **Al mubarad**, *al muktadob, T2, 4/202.*
(7) **Ibnu Siraj,** *Al Usul Fi Nahu, T3, 1/329*

ISSN 2600-7398 الترقيم الدولي

(8) **Az hari**, *Sharh at tasrih 'ala taudih D1 2/205.*
(9) **Assibban,** *Hasyiyah Assibban 'ala syarh Al usymuni , T1, 3/197*
(10) **Harun,** Al asalib al insyaiyyah fi an nahu al 'arabi, T5, 136
(11) **Hassan,** *an nahu al wafi, T15, 4/1*
(12) **Al Makhzumi**, *fi an nahu al 'arabiy, nakdu wa tawjih, T2, 301*

(13) **Al halwani,** an nahu al maysir, T1, 2/532
(14) **As ssaban**,*Hashimah as soban 'ala syarhi al ushmuni, T1, 3/532*
(15) **Al andalusi**, *irtishaf ad dharab, T1, 4/2179*
(16) **Al andalusi**, irtisyaf ad dharab, *T1, 4/2182*
(17) **Undhur** : *Al as tatabazi, syarh al kafiyah, T2,1/346*
(18) **Ibn hisham**, *mughunni al labib, T6, 488*
(19) **Sibawieh, al kitab**, T3, 1/291. Wa Ibn ya'ish, syarh al mufasol, T1, 1/316
(20) Undhur, **al mubarod**, *al muktadob, T2, 4/202*
(21) Undhur**, Ibn hisham**, *mughuni al labib, T6,488*
(22) Undhr **: Ibn ya'ish**, *sharhi al mufasal, T1, 1/316*-317
(23) **Ibn Hisham**, *mughounni al labib, T6, 488*
(24) **Sibaweih,** *al kitab, T3, 4/224*
(25) **Ibn Jinni**,al khasais, T4, 2/281
(26) **Ibn Malik,** *sharh tashil, T1, 3/390*
(27) **Ibn Hisham**, *mughuoni al labib, T6, 488*
(28) **Al murodi,** *al jana ad dani, T1, 357*
(29) **Al muradi**, *al jana ad dani, T1, 357*
(30) **Sibaweih**, *al kitab, T3, 2/281*
(31) Undhur : **Ibn ya'ish**, *sharh al mufasol, T1, 1/349*, wa **al andalusi**, *irtishaf ad dharab, T1, 4/1851*. Wa **As suyuti,** *hama'a al hawami', T1, 1992, 2/235*

(32**) Ibn Malik**, *Sharh al khafiyah, T1, 2/1002-1003*
(33) **Ibn Ya'ish**, *Sharh al mufasol, T1, 1/349*

(34) **As suyuti,** *hama'a al hawami', T1, 1992, 2/532*
(35) **Sibaweih**, *al kitab, T3, 2/230*
(36) **Ibn as siraj**, *al usul fi an nahu, D.T, 1/329*
(37) Undhur : **Ibn malik**, *sharh tashil, T1, 3/392*, wa **Ibn ya'ish**, *sharh al mufasol, T1, 1/320*
(38) **Ibn ya'ish**, *sharh al mufasol, T1, 1/331*
(39) Undhur : **al halwani**, *an nahu al maysir, T1, 547-548*
(40) Undhur **: Hasan**, *an nahu al wafu, T15, 4/5*
(41) Undhur : **al azhari**, *syarh at tasrih, T1, 2/207*, **as suyuti,** *hama'a al hawami', T1, 1992, 2/42*
(42) Undhur : **sibaweih**, *al kitab, T3, 4/224*. Wa **Ibn jinni**, *al khasais, T4 2/281*
(43) **Al muradi**, *al jinni ad dani, T1,357*

(44) Undhur : **Al halwani**, *an nahu al maysir, T1, 539 - 540*
(45) **Ibn malik**, *sharh at tashil, T1, 3/390*
(46) Undhur masalan : **Ibn malik**, *sharh attashil, D.T, 1967, 3/409*. Wa **andalusi**, *irttishaf ad darad, T1, 4/2214*. Wa **al azhari**, *sharh at tasrih, T1, 2/245.*